**تــوجـــيـــهات عـــامــــة:**

**المرجو اتباع الخطوات التالية للاستفادة من هذا المضمون.**

1. **قراءة التقديم العام للمجزوءة لاكتشاف المفاهيم المرتبطة بها، والإشكالات التي تطرحها.**
2. **قراءة التقديم الخاص بالمفهوم لفهم دلالته، والإشكالات التي يطرحها.**
3. **قراءة التأطير الإشكالي للمحور، لفهم الإشكال المطروح، والتعبير عنها بتساؤلات.**
4. **المواقف:**

* **قراءة النص المرفق بالموقف والموجود إما بالكتاب المدرسي، أو بالملحق الخاص بالنصوص والمرفق بهذا المضمون.**
* **الإجابة عن أسئلة الفهم المرفقة به.**
* **أستثمر ما توصلت إليه لتحديد ما يلي:**
* **إشكال النص:**
* **أطروحته:**
* **عناصرها:**
* **مفاهيم النص:**
* **الإطار الحجاجي للنص:**

**ملاحظة: (** يجب اتباع نفس الخطوات مع كل المواقف الواردة في المحور**)**

1. **أصوغ خلاصة تركيبية للمحور.**
2. **أطلع على هذا المضمون.**

**ملاحظة:** اتبع نفس الخطوات مع المحورين الآخرين، ودون في ورقة خاصة كل الصعوبات التي اعترضتك والأفكار أو المواقف التي لم تستوعبها جيدا قصد معالجتها عند استئناف الدراسة.

**مجزوءة الأخــــلاق**

**مدخل عام:** يعتبر الإنسان كائنا اجتماعيا بطبعه، كما تحكمه نفس الشروط البيولوجية التي تحكم سائر الكائنات الحية الأخرى، وتحركه الميول والغرائز. **فكيف يمكنه العيش داخل الجماعة، وهو يسعى إلى تحقيق كل ما يرغب فيه تبعا لميولاته وغرائزه؟ أليس من شأن ذلك أن ينسف الاجتماع البشري برمته، ويقضي على الإنسان نفسه؟** وإذا كانت الغاية من الدولة هي جعل الناس يعيشون في أمن وسلام وانسجام فيما بينهم اعتمادا على القانون. **لكن هل الدولة بترسانتها القانونية قادرة على تحقيق هذه الغاية، وجعل الناس يتصرفون وفق أحكام العقل والقانون بعيدا عن الميول والغرائز؟** بالطبع، لا. مادام الواقع يمدنا بأمثلة متعددةعن خرق الأفراد للقوانين، وانتهاك حقوق الآخرين بعيدا عن أعين الدولة. من هنا بات لزاما وضع حد لميولات الإنسان الغريزية، وحمله على السلوك وفق قواعد عقلية تحرره من سلطة هذه الدوافع الغريزية، والنوازع العدوانية، والشريرة، وتسمو به فوق سائر الكائنات الحية الأخرى. مما جعل الإنسان يضع لنفسه **ضوابط ومعايير وقيم ومثل توجه سلوكه وتصرفاته، وتحدد علاقته مع ذاته، ومع الآخرين** تعرف **بالأخلاق**. وأمام أهمية هذه الأخيرة في حياة الإنسان كان طبيعيا أن يعمل المفكرون، والفلاسفة على مقاربتها ، ومحاولة ترسيخ قيمها في المجتمع. وذلك من خلال وضع مبحث خاص بها هو **مبحث الأخلاق**.

إذن، الأخلاق دعامة رئيسية لتوطيد العلاقات بين الناس داخل المجتمع. إنها بمثابة ضابط يحد من اندفاع الفرد وميله الغريزي نحو تحقيق حاجاته ورغباته. لهذا قامت القواعد الأخلاقية على عنصري **الإكراه والإلزام**. وهذا ما نلمسه في مفهوم **الواجب** باعتباره أمرا أخلاقيا يلزم كل فرد بأدائه دون مراعاة لانعكاساته، ويأتي بصيغة: **يجب عليك**.... وعندما يمتثل الجميع للواجب فإن ذلك يحد من تطاول البعض على حقوق البعض الآخر، ويرسي قيمة **الحرية** في المجتمع. فالإنسان حر في أفعاله وتصرفاته، لكن يلزمه الوعي بأن حريته تنتهي عندما تبدأ حرية الغير.

ينتهي بنا البحث في مفهوم الأخلاق أمام قيمتين أخلاقيتين كبيرتين هما: **الواجب والحرية**. وهما مفهومان يتقاربان مع مفاهيم أخرى، **كالإكراه، والقانون، والحتمية**. ويطرحان إشكالات فلسفية حقيقية يمكن التعبير عنها من خلال التساؤلات التالية:

* **ما الواجب الأخلاقي؟ وما مصدره؟ وما علاقته بالمجتمع؟**
* **ما الحرية؟ وما علاقتها بالحتمية، وبالقيم الأخلاقية، والقانون؟**

**المفهوم الأول: الواجب.**

**تقديم:** يتحدد الواجب في المجال الأخلاقي بما يتوجب على الشخص القيام به، إما بشكل إلزامي، نظرا لقهرية العديد من الواجبات، بحيث تبدو ضرورة تحتم الخضوع إليها. وإما على شكل التزام حر، وواع نظرا لانسجام بعض الواجبات مع متطلبات العقل الإنساني. ويعتبر الواجب عصب الأخلاق، كما قال **كانط،** لأنه تجسيد للسلوك المؤدي إلى تحقيق الغايات الأخلاقية الكبرى. باحترامه تتحقق كل القيم الأخلاقية الأخرى، وبخرقه ينهار النسق القيمي برمته. كما أن الواجب مقدم عن الحق. والإنسان مطالب بالقيام بواجبه قبل المطالبة بحقه. وإذا نحن أمعنا التأمل في مفهوم الواجب وجدناه ينطوي على عدة مفارقات: فهو **التزام حر** من جهة، و**الزام** من جهة ثانية، و**الوعي الأخلاقي** يبدو **فطريا متأصلا** في أعماق النفس البشرية، و**ثقافيا مكتسبا** في نفس الوقت. إنه **اجتماعي نسبي**، ومطلب **كوني مطلق** أيضا. ومن هذا المنطلق نتساءل:

* **ما معنى الواجب الأخلاقي؟ وهل هو إكراه وإلزام، أم أنه التزام فقط؟**
* **ما مصدر الوعي الأخلاقي؟ هل هو فطري، أم مكتسب؟**
* **هل الواجب مطلق، أم نسبي؟ كوني، أم ذاتي؟ ومن أين يستمد سلطته؟**

**المحور الأول: الواجب والإكراه.**

**التأطير الإشكالي:**يجد الواحد منا نفسه في مواقف كثيرة يقوم ببعض الواجبات بمحض إرادته وهو راض عن ذلك رضى تاما، لكن وفي مواقف أخرى يحس أنه مكره ومرغم على القيام ببعض الواجبات. مما يجعلنا نتساءل حول طبيعة الواجب الأخلاقي وموقعه بين الإلزام والالتزام.

* **فما مصدر الواجب الأخلاقي؟**
* **هل يصدر عن إرادة عاقلة، وحرة، أم عن ضرورة وإكراه؟**
* **هل هو التزام، أم الزام؟**

**ـ تصور إيمانويل كانط: انظر نص:" الواجب كأمر أخلاقي قطعي وخالص" ص: 117 من كتاب مباهج الفلسفة: الشعب العلمية.**

علاقة بالموضوع أعلاه يعتبركانط **الواجب الأخلاقي إكراها حرا: إنه بمثابة التزام داخلي صادر عن إرادة حرة عاقلة، لا عن إكراه خارجي (الزام).**حيث انطلق من فكرة أن الإرادة لا تخضع دائما لأوامر العقل، لذا يمارس عليها إكراها سماه بالأمر الأخلاقي، وهو نوعان:

* **أوامر أخلاقية شرطية:** لا تنظر إلى الأفعال في ذاتها، وإنما إلى النتائج المنتظرة منها. وهكذا يكون الواجب مجرد وسيلة لتحقيق غاية ما. كأن نقول الصدق من أجل كسب ثقة الناس، أو أن نمتنع عن السرقة بسبب الخوف بكل أنواعه ومصادره: (خوف من الآخر، خوف من الله.....).
* **أوامر أخلاقية قطعية:** إنها أوامر **خالية من أية منفعة أو ميول** تنظر إلى الأفعال في ذاتها، لا إلى النتائج المنتظرة منها، و**بديهية** تفرض نفسها على جميع العقول مما يجعل الإرادة تعرف تلقائيا أن عليها الخضوع لها، و**كونية شمولية** صالحة للإنسانية جمعاء. وهكذا تكون الواجبات المرتبطة بهذه الأوامر غاية في ذاتها. كأن نقول الصدق، ونمتنع عن السرقة، مثلا، لأنها واجبات أخلاقية قطعية ومطلقة صادرة عن العقل العملي وكفى.

بناء عليه، يتوصل كانط إلى أنه لا يوجد سوى أمر قطعي واحد يمكن أن تشتق منه جميع الأوامر الأخلاقية المشكلة للواجب. وهذا الأمر القطعي يمكن صياغته، وحصره في ثلاث قواعد أساسية هي:

1. تصرف كما لو أنه يتعين على القاعدة التي تحكم سلوكك أن تنصب من طرف إرادتك كقانون كوني للطبيعة.
2. تصرف على نحو تعامل فيه الإنسانية في شخصك كما في شخص غيرك دائما وأبدا كغاية في ذاتها لا مجرد وسيلة.
3. تصرف دوما بحيث تعتبر نفسك بمثابة مشرع، وذات فاعلة في مملكة الغايات.

هكذا يكون الإنسان مشرعا وخاضعا في نفس الوقت. فهو الذي يشرع القوانين الأخلاقية، وهو الذي يخضع لها بإرادة حرة منه: فعندما يخضع الإنسان للقوانين الأخلاقية الصادرة عن العقل، فإنه في الحقيقة لا يخضع سوى لتشريعه الخاص، ولا يتصرف إلا وفقا لإرادته الخاصة. وبهذا المعنى يكون الواجب إكراها حرا، بعيدا عن أية إكراهات خارجية.

**نقد الموقف:** إن تأسيس الواجب الأخلاقي على العقل مسألة إيجابية لما له من دور مهم في توجيه وتنظيم القيم الأخلاقية. لكن الاعتماد على العقل وحده بمعزل عن الميول والرغبات والعواطف، يضفي على الموقف الكانطي طابع التجريد والمثالية والتعالي عن الواقع.

**تصور دوركايم: انظر نص:" الواجب ليس الزاما فقط، بل محط رغبة أيضا " ص: 119 من كتاب مباهج الفلسفة: الشعب العلمية**.

في المقابل يراهن دوركايم على أطروحة مفادها أن **الفعل الأخلاقي له صفتان: الإلزام والرغبة.** معتبرا أن الواجب الأخلاقي هو واجب جمعي لأنه يفرض نفسه على جميع أفراد المجتمع، وهو إكراهي، إلزامي لأنه يتضمن صفة الأمر الآتية من المجتمع، أما سلطته فهي متعالية على الضمائر الفردية، وهي سلطة الضمير الجمعي، لكن رغم طابعه الإلزامي فإن الواجب الأخلاقي عنده، يتأسس على الرغبة. فكل واجب أخلاقي ھو إلزام، ولكنه في الوقت نفسه استجابة لما ھو مرغوب فیه. ذلك أننا لا نقوم بفعل أخلاقي لأننا ملزمين بالقيام به فقط، ولكن لأننا نحس برغبة وميل نفسي للقيام به أيضا. هكذا تتداخل صفة المرغوبية بصفة الإلزامية في أفعالنا الأخلاقية، مما يجعلنا نحس بنوع من اللذة لا مثيل لها عند القيام بفعل أخلاقي، رغم ممارستنا لنوع من العنف والإكراه الداخلي على أنفسنا. وبھذا المعنى یكون دوركایم قد نبه إلى الخلل في نظرة كانط للواجب الأخلاقي المجردة من المیولات ورغبات الأفراد، وعمل على تجاوزها بجعله الرغبة في قلب الواجب الأخلاقي.

**تصور جون ماري غويو: انظر النص الوارد بالملحق.**

**الواجب الأخلاقي، عند غويو، ليس إكراها ولا إلزاما، بل هو ميل أو شعور بقدرة طبيعية على القيام بالفعل.** حيث ربط الواجب بالقدرة:فعندما يشعر الإنسان بالقدرة على القيام بفعل ما يصبح القيام بذلك الفعل، حسبه، واجبا عليه. وهذا معناه أن الواجب ليس متعاليا عن الواقع المعيش، أو مسألة غيبية أو ميتافيزيقية، وإنما هو فيض من الحياة، ونور طبيعي في الإنسان يدفعه للقيام بالواجب. ومنه فإن ما يبدو إكراها وضغطا خارجيا ملازما للواجب، ما هو في الحقيقة إلا شعورا بالقدرة يحدث ضغطا لإزاحة كل الحواجز التي تعترضه، وهذا الضغط هو الذي يوهم بالإكراه. كما أن لكل قدرة واجب يناسبها. فالقدرة على العمل هي واجب العمل، ومن ثمة فإن الإنسان بوصفه كائنا عاقلا واجباته كثيرة بالنظر إلى قدراته الكبيرة. وحيث أن الواجبات تتناسب طرديا مع القدرات فإن الإنسان كلما ارتقى علميا، تقنيا وحضاريا إلا وازدادت قدراته، ومن ثمة ازدادت واجباته. وبما أن القدرة المؤطرة للواجب تختلف من شخص لآخر، فإن ذلك سينعكس على الواجب الذي يحمل طبيعة نسبية، لا مطلقة أو كونية كما ذهب إلى ذلك كانط.

**استنتاج:** من خلال ما سبق، نسجل اختلافا وتباينا في المواقف بين الفلاسفة حول علاقة الواجب بالإكراه تراوحت بين من اعتبره التزاما، لا إلزاما، ومن رأى فيه عكس ذلك، ومن ربطه بالحياة وقوانينها. وإذا كان لكل موقف ما يدعمه من حجج، إلا أن الراجح هو كون الإلزام أو الإكراه صفة ملازمة للواجب، إلا أنه إلزام أخلاقي، أي أنه إلزام نختاره بإرادتنا، مما يمنح الواجب الأخلاقي طابع الحرية، وليس طابع القسر كما اعتقد دوركايم. إنه التزام وليس إلزام.

**المحور الثاني: الواجب والوعي الأخلاقي.**

**التأطير الإشكالي:** توجد علاقة صميمية بين الواجب الأخلاقي والوعي الأخلاقي، على اعتبار أن العمل وفق الواجب، والالتزام بقواعده يتطلب امتلاك وعي أخلاقي، ويقصد بالوعي الأخلاقي **قدرة الفكر على إصدار أحكام معيارية على الأفعال الإنسانية من خلال التمييز فيها بين الحسن والقبيح، أو بين الفضيلة والرذيلة، بين الخير والشر**. وقد أثارت مسألة الوعي الأخلاقي اهتمام الفلاسفة والمفكرين، وخلقت نقاشا بينهم تركز بالخصوص حول أصله ومصدره. ومن هنا نتساءل:

* **ما أصل، ومصدر الوعي الأخلاقي ؟**
* **هل هو فطري غريزي، أم ثقافي مكتسب؟**
* **هل هو وعي جامد وثابت، أم أنه منفتح ومتطور؟**

**ـ تصور جون جاك روسو: انظر النص الوارد بالملحق.**

**الوعي الأخلاقي فطري، ومتأصل في أعماق النفس البشرية.** حيث يؤسس روسو موقفه هذا على اعتقاده الراسخ بأن **الإنسان خير بالطبع**. فالطبيعة البشرية خيرة في أصلها، ومن أعماقها ينبعث نداء داخلي يشع بمبادئ الفضيلة والعدالة والخير، سماه روسو بالضمير الأخلاقي وهو عبارة عن أحاسيس متدفقة تجعلنا ندرك الخير، ونميزه عن الشر، ونميز الفضيلة عن الرذيلة، ومن ثمة نصدر أحكاما على أفعالنا وأفعال غيرنا فنصفها بالخيرة أو الشريرة. وبما أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فإن امتلاكه لهذا الوعي الأخلاقي، أو الأحاسيس الفطرية الخاصة بنوعه، يصبح ضرورة طبيعية تجعله متميزا عن باقي الكائنات الحية الأخرى التي تعيش في حدود الحاجة البيولوجية فقط، ويؤهله للحياة الاجتماعية، والتعايش مع الآخرين. حيث يولد الوعي الأخلاقي من هذه العلاقة المزدوجة: العلاقة مع الذات والعلاقة مع الغير. كما يميز روسو بين معرفة الخير ومحبته. فالإنسان لا يمتلك معرفة فطرية بالخير، وإنما إحساس فطري بمحبته. وعليه فبمجرد ما يتعرف على الخير حتى يدفعه وعيه لمحبته.

بناء عليه ينظر روسو إلى الوعي الأخلاقي كمنحة وهبة إلهية خالدة، مرشدة ومعصومة. تجعل الإنسان يميز الخير عن الشر، وتمنح أفعاله خلقا، وتجعله يسمو على الحيوانات، وبدون هذه الأحاسيس لا يمكنه أن يكون كائنا اجتماعيا، ولا أن يتعايش مع الآخرين.

**نقذ الموقف**: تتجلى قيمة هذا الموقف في اعتباره مصدر الوعي الأخلاقي فطريا، وجعله قائما على الطبيعة الخيرة في الإنسان مما يعلي من قيمة الإنسان، ويجعله يتفاعل إيجابيا مع القيم الأخلاقية على اعتبار أنها نابعة من ذاته. لكن ما يعاب عليه هو تهميشه لما هو مكتسب، وتاريخي.

**تصور فرويد: انظر نص: " هل الأنا الأعلى هو الضمير الأخلاقي؟" ص: 121 من كتاب مباهج الفلسفة: الشعب العلمية**.

**الوعي الأخلاقي مكتسب يتشكل على مستوى الأنا الأعلى عبر التربية والتنشئة الاجتماعية**. وهذا راجع إلى كون الإنسان منذ طفولته يخضع للتربية والتنشئة الاجتماعية التي تؤهله للاندماج في محيطه الطبيعي والاجتماعي، وهي تربية قائمة على ثنائية: **ثواب- عقاب** التي يمارسها المربون. هكذا فالطفل لكي يحصل على ثواب الوالدين والمربين، ويتجنب عقابهم. يجد نفسه ملزما على السلوك وفق المعايير والقواعد الأخلاقية السائدة في مجتمعه، والتي يتم تلقينه إياها في شكل أوامر ونواه. تساهم في البناء النفسي لشخصيته بطريقة لا شعورية. ومع مرور الوقت تتشكل لديه رقابة داخلية تعوض بشكل تدريجي رقابة المربين والوالدين. يسميها فرويد: **"الأنا الأعلى"** هذا الأخير يمارس رقابة صارمة على الأنا. فتجده يثني عليه في حال موافقته لمثله، ويعاقبه في حال مخالفته لها.

**ـ تصور نيتشه: انظر النص الوارد بالملحق.**

قارب مسألة الوعي الأخلاقي مقاربة تاريخية ليؤكد أن**الوعي الأخلاقي مكتسب بحكم اتصاله بواقعة عرفها تاريخ البشرية، تتمثل في أول علاقة تجارية نشأت بين الدائن والمدين.**حيث اعتبر نيتشه تسديد الدين واجبا يلتزم به المدين تنفيذا لمقتضيات العقد المبرم بين الطرفين، لكن في حالة الإخلال بالعقد يتم اللجوء إلى التعويض بوسائل أخرى كالجسد أو الحرية أو الحياة. ففي مصر القديمة مثلا: كان بإمكان الدائن أن يتلف جسد المدين، أو يعذبه كما يشاء محققا بذلك حظه من السيادة، والشرف، وهذا معناه أن التعويض لم يكن ماديا فحسب، بل كان معنويا وأخلاقيا أيضا، وفي صلب هذه العلاقة التي تفوح بروائح الدم، والعنف، وجدت التصورات الأخلاقية حول الواجب، والضمير الأخلاقي، أو الوعي الأخلاقي، منطلقاتها.

**استنتاج:**نلحظ مما سبق اختلافا، وتباينا على مستوى تصور الفلاسفة لمصادر الوعي الأخلاقي، فهناك من جعل من الذات الفردية منبعا له، وهناك من أرجعه إلى تأثير المحيط والتنشئة الاجتماعية. وتجاوزا لهذا التناقض يمكن القول بأنه رغم أهمية الذات في تشكيل الوعي الأخلاقي، إلا أنه لا يمكن انكار دور المجتمع في تشكيله أيضا، وجعله أداة لممارسة الرقابة الخارجية على الفرد.

**المحور الثالث: الواجب والمجتمع.**

**التأطير الإشكالي:** يعرف **لالاند المجتمع** في معجمه الفلسفي بأنه: "**مجموعة من الأفراد توجد بينهم علاقات منظمة ومصالح متبادلة."** فالمجتمع بهذا المعنى عبارة عن مجموعة من العلاقات بين الأفراد تتجسد على شكل مؤسسات تقوم بوظائف خاصة تتكامل فيما بينها لتحقق العيش المشترك، والتماسك الاجتماعي، وتضمن استمرارية المجتمع. ولتحقيق هذه الغايات يضع المجتمع مجموعة من القواعد والضوابط لتنظيم الحياة الاجتماعية يتم تمريرها إلى الأفراد عبر التربية والتنشئة الاجتماعية على شكل واجبات أخلاقية. ومنه فإن الواجب الأخلاقي ليس مسألة فردية ذاتية، بل هو شأن اجتماعي، إن لم نقل إنساني أيضا. ومن هذا المنطلق نتساءل:

* **كيف يساهم المجتمع في قيام الواجب الأخلاقي؟**
* **هل الواجب الأخلاقي تجسيد لسلطة المجتمع فقط، أم أنه ينبغي تجاوز ذلك إلى مستوى التعبير عن ما هو كوني وإنساني؟**

**ـ تصور إميل دوركايم: انظر النص الوارد بالملحق.**

يرى دوركايم في **الواجب الأخلاقي تجسيدا لسلطة المجتمع.** فالمجتمع هو مصدر الواجب الأخلاقي، لأن ذلك الصوت الآمر أو الناهي: **(الضمير الأخلاقي)**، الذي يتكلم فينا ويحثنا على القيام بفعل ما، أو الامتناع عنه، ويؤنبنا في حال التخاذل، أو القيام بفعل غير مرغوب فيه، ليس نتاجا لقوة غيبية، وإنما هو صوت المجتمع الذي عمل على تكويننا أخلاقيا. فالفرد لا يولد بشكل منعزل، ولا يمكنه العيش خارج الدائرة الاجتماعية، وإنما يولد داخل مجتمع، ويحيا في كنفه، وهذا المجتمع هو الذي يؤهله للعيش المشترك، والاندماج في محيطه من خلال عملية **التنشئة الاجتماعية،** حيث يمنحه اللغة والقيم والثقافة، ويعلمه قواعد السلوك. وهكذا يتسرب مفعول الواجب، ويتشكل الضمير الأخلاقي لديه تدريجيا، مثلا الطفل يتعلم واجبات: النظافة، الآداب، احترام وطاعة الولدين، الخضوع للأعراف والقيم...

إن الواجب الأخلاقي، إذن، مرتبط بثقافة المجتمع وخاضع لسلطتها، وإذا أخذنا بعين الاعتبار اختلاف المجتمعات وتنوعها، فمن اليسير إدراك نسبية الواجب الأخلاقي وتبعيته لسلطة المجتمع.

**نقذ الموقف**: إن جعل المجتمع مصدرا للوعي الأخلاقي له ما يبره على أرض الواقع، لكن ما يعاب على دوركايم في رهانه على سلطة المجتمع في تحديد الواجبات الأخلاقية لأفراده هو تقليصه من حرية الفرد ومسؤوليته، واغفاله لما هو كوني وإنساني.

**تصور هنري برغسون:** **انظر النص الوارد بالملحق.**

لتجاوز هذا القصور في موقف دوركايم يتجه **برغسون** إلى القول بأن **الواجب الأخلاقي ليس تجسيدا لسلطة المجتمع فقط، بل هو تعبير عن ما هو كوني وإنساني.** حيث ميز بين نوعين من الأخلاق: **الأخلاق المنغلقة** و**الأخلاق المفتوحة.** ذلك أن المجتمع يلعب دورا أساسيا في توجيه تفكير الناس، وسلوكهم، وواجباتهم الأخلاقية. حيث يتم خضوع الفرد للمجتمع بشكل عفوي، آلي وتلقائي لدرجة تصبح معها الواجبات عبارة عن عادات محدودة، وذات طابع سكوني ومنغلق. مما يضفي على الأخلاق طابع الانغلاق والتحجر، والثبات: **(الأخلاق المنغلقة)**. ويكفي، حسب برغسون، أن نتأمل حالة الحرب، مثلا، لنجد الدليل على زيف الأخلاق الاجتماعية المنغلقة ما دامت تضعنا في تضاد مع مجتمع آخر نحاربه باسم الوطنية حيث يصبح القتل والغدر والكذب والخيانة أمورا مباحة ومشرفة. هكذا تصبح مسألة انفتاح الواجب الأخلاقي على ما هو إنساني، وكوني: **(الأخلاق المفتوحة)**، ضرورة ملحة. ذلك أن علينا واجبات نحو الإنسان كإنسان: كاحترام حياة الآخرين، واحترام حرياتهم، ومعتقداتهم. وأن التأسيس لقيم وواجبات كونية، والعمل على ترسيخها من شأنه توطيد العلاقات السلمية بين المجتمعات البشرية، وإبعادها عن ضروب الصراع والعنف.

**استنتاج:** يبدو من خلال ما سبق الدور الفعال الذي يلعبه المجتمع في تحديد الواجبات الأخلاقية، والعمل على ترسيخها لدى الأفراد، والسهر على تطبيقها عبر الثواب والعقاب، إلا أنه لا بد من العمل على ترسيخ قيم كونية إنسانية لتحقيق السلام بين الأمم والشعوب.

**مجزوءة الأخــــلاق**

**المفهوم الأول: الواجب.**

**المحور الأول: الواجب والإكراه.**

**نص: "الواجب والقدرة" جون ماري غويو**

" يرتد الواجب إلى الشعور بقدرة داخلية معينة معينة تمتاز في طبيعتها على القدرات الأخرى. فأن يشعر المرء شعورا داخليا بما هو قادر على فعله من أمر عظيم، فهذا شعور أول بما يجب عليه فعله. فالواجب من وجهة نظر ا**لوقائع**، وبغض النظر عن الأفكار **الميتافيزيقية**، إنما هو فيض من الحياة يريد أن ينصرف وأن يجود بنفسه. وقد ظنوه إلى الآن شعورا بضرورة أو ضغط ، وما هو في حقيقته إلا الشعور بقدرة: إن كل قوة مجتمعة تحدث نوعا من الضغط على الحواجز الموضوعة أمامها. وكل قدرة تنتج وحدها نوعا من الواجب متناسبا معها. إن القدرة على العمل هي واجب العمل. فإذا نظرنا إلى الكائنات المنحطة التي تكون حياتها العقلية معوقة أو مخنوقة، وجدنا الواجبات عندها قليلة. وما ذلك إلا لأن القدرات التي عنها قليلة. أما الإنسان المتحضر فواجباته لا تحصى، وما ذاك إلا لأن لديه نشاطا ثرا غنيا ينبغي انفاقه على ألف صورة وصورة. وهكذا فإن الواجب الأخلاقي، من وجهة النظر الطبيعية هذه التي ليس فيها شيء غيبي، يرتد إلى القانون الطبيعي الشامل: " إن الحياة لا تستطيع أن تبقى بدون أن تنتشر." فمن المستحيل على أمرئ أن يصل إلى غايته على وجه التأكيد حين لا تكون له قدرة على تجاوز هذه الغاية. فإذا قيل إن الأنا غاية نفسها، قلنا فهذا نفسه يجعلها غير قادرة على أن تكفي نفسها بنفسها. إن النبتة لا تستطيع أن تمتنع عن الازدهار. وقد يكون ازدهارها موتا لها. ولكن لا ضير. إن النسغ ما ينفك يصعد. والطبيعة لا تنظر أبدا إلى الوراء حتى ترى ما تدع، بل تمضي في طريقها، أبدا قدما ......وأبدا صعدا......"

**جون ماري غويو، الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء، ص: 104 – 105**

**الوقائع:** ما هو معطى في التجربة الإنسانية.

**الميتافيزيقا:** تعني ما وراء الطبيعة. وهي أيضا مبحث فلسفي يهتم بالعلل الأولى للوجود.

**أسئلة:**

1. ما هو تعريف الواجب حسب النص؟
2. حلل الربط الذي أقامه النص بين الواجب والقدرة.
3. في نظرك، إذا كان الواجب مرتبطا بالقدرة فلماذا يمتنع الإنسان عن القيام بالواجب رغم قدرته عليه؟

**المحور الثاني: الوعي الأخلاقي.**

**نص: "فطرية الضمير الأخلاقي"** **جون جاك روسو**

" يوجد في أعماق النفوس البشرية مبدأ **فطري** للعدالة والفضيلة، تقوم عليه، رغم مبادئنا الشخصية، أحكامنا التي نصدرها على أفعالنا وأفعال الغير فنصفها بالخيرة أو الشريرة. وإنني أسمي هذا المبدأ باسم **الوعي**........ إن أفعال الوعي ليست أحكاما، بل أحاسيس. هذا، وعلى الرغم، من أن كل أفكارنا تأتينا من الخارج، فإن الأحاسيس التي نقدر بها الأفكار، هي أحاسيس توجد بداخلنا، وبواسطتها وحدها ندرك التوافق أو عدم التوافق الموجود بيننا وبين الأشياء التي علينا احترامها أو النفور منها..... وكيفما كانت طبيعة علة وجودنا، فحسبها أنها عملت على حفظ وجودنا بأن منحتنا الأحاسيس المناسبة لطبيعتنا، ولا يمكن أن ننفي أنها، على الأقل، أحاسيس فطرية. إن هذه الأحاسيس بالنسبة للفرد، هي حب الذات، والخوف من الألم والموت والرغبة في العيش السعيد. لكن، وإذا كان من غير شك أن الإنسان اجتماعي بطبعه، أو على الأقل، وجد ليصير كذلك، فلن يتحقق له ذلك، دون أحاسيس فطرية أخرى خاصة بنوعه. ذلك لأنه لو أخذنا بعين الاعتبار **الحاجة الفزيائية** فقط، فإن ذلك سيؤدي إلى تمزيق شتات الناس بدل التقريب بينهم. هكذا إذن، يولد دافع الوعي من النسق الأخلاقي المركب من هذه العلاقة المزدوجة: العلاقة مع الذات والعلاقة مع الأشباه.

هناك فرق بين معرفة الخير ومحبته: فالإنسان ليست لديه معرفة فطرية، لكنه بمجرد ما يدرك الخير بعقله، حتى يحمله وعيه على حب هذا الخير. وهذا الإحساس هو وحده الفطري....

أيها الوعي ! أنت أيتها الغريزة الإلهية الخالدة، وذات الصوت السماوي، والمرشدة المضمونة، لإنسان جاهل ومحدود النظر، لكنه إنسان ذكي وحر. أيها الوعي، أنت الغريزة المعصومة في تمييزها بين الخير والشر، والتي تجعل الإنسان شبيها بإله. أنت أيها الوعي من يعطي امتيازا لطبيعة الإنسان، ويمنح أفعاله خلقا. فبدونك لن أشعر في ذاتي بما يجعلني أسمو فوق مرتبة البهائم."

جون جاك روسو، إميل أو في التربية، ص: 352 – 355

**فطري:** معطى طبيعي غريزي.

**الوعي:** المقصود به الضمير الأخلاقي.

**الحاجة الفزيائية:** يقصد بها الدوافع البيولوجية.

**أسئلة:**

1. ما مصدر الوعي الأخلاقي حسب النص؟ و كيف يؤكد النص ذلك؟
2. ما الفرق بين محبة الخير ومعرفته؟
3. في نظرك، هل يسمح القول بفطرية الضمير الأخلاقي بتأسيس أخلاق كونية مطلقة؟

**المحور الثاني: الوعي الأخلاقي.**

**نص: " شقاء الوعي الأخلاقي" فريدريك نيتشه.**

" لكي يكسب المدين وعده بالتسديد مصداقية، ويمنح ضمانة لحديثه ولقدسية وعده، لكي يطبع في **ضميره** ضرورة التسديد باعتبار ذلك واجبا والتزاما، فإنه يلتزم للدائن بموجب عقدة، في حالة عدم تسديده للدين، أن يعوضه بشيء آخر مما يملك، مما لايزال تحت سيطرته، كجسده مثلا أو زوجته أو حريته، بل وحياته ( أو تحت بعض الشروط الدينية المحددة، بخلاصه الأبدي، بخلاص روحه، بل حتى براحته داخل قبره. هكذا كان في مصر حيث لم يكن الدائن يرحم جثة المدين، وقد كانت هذه الراحة تعني لدى المصريين الشيء الكثير). كان باستطاعة الدائن أن يتلف جسد المدين ويعذبه مثلما يحلو له، كأن يقطع جزءا يبدو له مناسبا مع أهمية الدين، وارتكازا على هذه الطريقة في النظر إلى الأمور ظهرت باكرا في كل مكان تقديرات مضبوطة، شنيعة في دقتها أحيانا، تقديرات لها قوة القانون، بشأن مختلف أجزاء الجسم وأطرافه..... وبفضل العقاب الموجه للمدين ينال الدائن حظه من **حق السادة**، ذلك أنه يشعر في نهاية المطاف بذلك الإحساس المشرف الناتج عن تمكنه من احتقار وإهانة مخلوق ما باعتباره شيئا أدنى منه.....

في نطاق قانون الالتزام هذا، يكمن أصل التصورات الأخلاقية مثل "الخطأ" و"الضمير"، والواجب وقدسية الواجب. ومثلها مثل كل شيء عظيم على هذه الأرض فقد روتها في بدايتها دماء كثيرة ردحا طويلا من الزمن."

**فريدريك نيتشه، جينيالوجيا الأخلاق، ص: 55 – 56.**

**ضميره:** أي الوعي الأخلاقي باعتباره نسقا من أحكام القيمة في علاقته بشروط الوجود الإنساني.

**حق السادة:** في مقابل العبيد الضعفاء، والسيد الأرستقراطي هو الذي يبدع القيم بشكل إيجابي.

**أسئلة:**

1. ما مصدر الوعي الأخلاقي حسب النص؟
2. حلل علاقة مفهوم العقاب بمفهوم الوعي الأخلاقي؟

**المحور الثالث: الواجب والمجتمع.**

**نص: " سلطة المجتمع" إميل دوركايم.**

" في كل مرة نتدبر فيها لنعلم كيف يجب علينا أن نسلك نجد صوتا يتكلم فينا ويهيب بنا قائلا: هذا هو واجبك. وعندما نتخاذل عن أداء ذلك الواجب الذي بين لنا على هذا النحو، يعلو ذلك الصوت ذاته محتجا على فعلنا. ولما كان ذلك الصوت يتكلم بلهجة الآمر، فإننا نحس دائما بأنه لا بد صادر عن كائن يعلو علينا. غير أننا لا نتبين بوضوح من هو أو ما هو ذلك الكائن.

ولهذا لجا خيال الشعوب – من أجل تفسير ذلك الصوت الخفي الذي تختلف لهجته عن لهجة الصوت الإنساني – لجأ ذلك الخيال إلى أن يعزوه إلى كائنات علوية تسمو عن الإنسان....... وعلينا نحن أن نزيل عن هذه النظرة ما علق بها خلال التاريخ من صور أسطورية، وأن نصل إلى الحقيقة من وراء الرمز. أما تلك الحقيقة فهي المجتمع الذي بث فينا، حين عمل على تكويننا خلقيا، تلك المشاعر التي تملي علينا سلوكنا بلهجة آمرة صارمة، أو تثور علينا بمثل هذه القوة عندما نأبى أن نمتثل لأوامرها. فضميرنا الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع ولا يعبر إلا عنه، وإذا تكلم ضميرنا، فإنما يردد صوت المجتمع فينا. ولا شك في أن اللهجة التي يتكلم بها خير دليل على السلطة التي يتمتع بها."

**إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، ص: 87- 88.**

**أسئلة:**

1. ما مصدر الواجب الأخلاقي حسب النص؟
2. ما مصدر الضمير الأخلاقي حسب دوركايم؟ وكيف يتشكل؟
3. في نظرك، هل الواجب الأخلاقي يجب أن يتخذ صفة المحلية، أم صفة الكونية؟ ولماذا؟

**المحور الثالث: الواجب والمجتمع.**

**نص: " الوجب الكوني" هنري برغسون.**

" إن المجتمع هو الذي يرسم للفرد مناهج حياته اليومية. فالمرء في حياته مع أسرته، وفي مزاولته مهنته، وفي كل أمر من أمور حياته اليومية كشراء السلع والخروج إلى النزهة، بل والبقاء في البيت، لا يستطيع إلا أن يخضع لأوامره، وأن ينقاد إلى واجبات، وعلى المرء في كل لحظة أن يختار، فترانا نختار بصورة طبيعية ما هو موافق للقاعدة المرسومة، ولا نكاد نشعر بما نفعل، ولا نبدل في ذلك شيئا من الجهد. فالمجتمع قد رسم لنا الطريق، فما يسعنا، إذ نجده مفتوحا، إلا أن نتبعه ونسير فيه. ألا إن الهيام في الحقول لأحوج من هذا إلى الجهد الشخصي. فالواجب بهذا المعنى، يتحقق تحققا آليا، حتى يمكن القول بأن الخضوع للواجب يكون في معظم الحالات بأن يرخي الإنسان زمام نفسه، ويستسلم لها.......

فما هو المجتمع الذي كنا نعنيه؟ أكنا نعني ذلك المجتمع المفتوح الذي هو الإنسانية بكاملها؟ ما قطعنا بشيء في هذا، كما أن الناس عادة لا يقطعون بشيء في الكلام عن واجبات الإنسان نحو الإنسان، إنهم يؤثرون الغموض في أناة، ولا يجزمون بشيء، ولو كانوا كأنما يعتقدون أن المجتمع متحقق منذ الآن. وقد يكون من الخير أن يفسح المجال لمثل هذا الاعتقاد، لأن علينا، ولا شك، واجبات نحو الإنسان من حيث هو إنسان......ما هو المجتمع الذي نعنيه في الواقع حين نقول: إن ثمة مطلبا اجتماعيا يثوي وراء الواجب الأخلاقي، كاحترام حياة الآخرين، واحترام حقهم في الملك؟ ألا فاستعرضوا في أذهانكم ما يجري في أزمنة الحرب، أيام يغدو القتل والسلب والخيانة والغدر والكذب أمرا مباحة بل مشرفة، وأيام يردد المتحاربون ما كانت تردده ساحرات **(مكبث):** "الحمق هو العدل، والعدل هو الحمق".

**هنري برغسون، منبعا الأخلاق والدين، ص: 46- 56.**

**مكبث:** بطل إحدى مسرحيات شكسبير.

**أسئلة:**

1. ما علاقة الواجب بالمجتمع حسب النص؟
2. ما هي النتائج المترتبة عن واجبات المجتمع المنغلق؟ وكيف يمكن تجاوزها حسب النص؟